

وكانت الاستراتيجية التي تعتمد عليها الجيوش المتصارعة، تستهدف الانهك لا الإبادة، واستنزاف العدو لا قتله. وكانت تستهدف، أساساً، ضرب خطوط تموين العدو وقلاعهم. يقول الكونت أوريري: «إننا نخوض الحرب كالثعالب لا كالأسود، ونقوم بعشرين حصاراً من أجل معركة واحدة»<sup>(٣)</sup>.

ولما تطورت معدات القتال وأساليب استخدامها، وامتد مجال المناورة، اتسعت رقعة الأرض التي تدور عليها المعارك، وبت ازدياد عدد الجيوش أمراً محتملاً. وهنا وجد الحل في اتباع سياسة التجنيد.

وفي البدء، كانوا يجندون الأفراد بالتطوع أو بالتعاقد، وبالقوة أحياناً. وفي أغلب الأحيان، كان التجنيد يتم بالحيلة والخداع؛ إذ أنهم كانوا يضعون المال سراً في جيب الشخص، ثم يقال له: أنت جندي. وكان يتم تجنيد معظم الجنود من الطبقات الدنيا في المجتمع. لذا كان الانضباط الذي يفرض عليهم شديداً وشرساً<sup>(٤)</sup>.

ولم يصبح التجنيد العام في حيز التنفيذ الكامل، إلا في ٢٣ آب (أغسطس) سنة ١٧٩٣. وذلك عندما صدر مرسوم مجلس التوفيق الفرنسي. وقد صيغت المادة الأولى من هذا القانون على الشكل التالي:

«من هذه اللحظة وإلى أن يتم طرد كل الأعداء من أرض الجمهورية، يعتبر كل الفرنسيين مصادرين بصفة دائمة. وسيذهب الشبان إلى القتال، سيصنع الرجال المتزوجون الأسلحة وسينقلون التموين والأعاشة. وستصنع النساء الخيام والملابس وسيخدمن في المستشفيات. وسيحول الأطفال الملابس القديمة إلى ضمادات صحية، وسيُنقل المسنون إلى الميادين العامة لتأجيج شجاعة المقاتلين واثارة الحقد ضد الملوك والدعوة إلى وحدة الجمهورية»<sup>(٥)</sup>. ومن هنا عادت الحرب لتأخذ صفتها الشمولية من جديد.

ثم كانت الحرب العالمية الثانية، التتويج الكامل للحرب الشاملة. حيث شملت ساحتها الجزء الأكبر من المعمورة. ولم يكن ضحاياها من المقاتلين فقط، بل من جميع السكان الذين تواجدوا فوق ميادينها.

والآن، ونتيجة لاستخدام أسلحة الدمار الشامل، وفي ظل توازن القوى القائم بين المعسكرين المتصارعين، فقد باتت الحرب العالمية الشاملة في حكم المستحيلة. وغدا الصراع تقليدياً أو ثورياً، يأخذ شكل الحرب المحدودة التي لا تتعدى حدوداً معينة في المكان والوسيلة، مع أنها قد تشمل السكان جميعهم. وكان انتصار الثورة في فيتنام على القوة الأميركية العاتية، مثلاً يحتذى على فاعلية الحرب الثورية في ظروف الحرب المحدودة.

### تكوين جيش التحرير وبروز المقاومة الفلسطينية

بعد النكبة، وبالتحديد في ٢٣ أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٤٨، اجتمعت اللجنة